

الرياضة الروحانية

لِإِمَامِنَا الْجَلِيلِ

سَيِّدِنَا الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ أَبِي خَلِيلٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِقَبَائِلِهِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى خلق الخلق على فطرة التوحيد والصفاء والصلاة والسلام على سيد الأئمة على وحى السماء، من أمد الله بروحه الطاهرة أرواح الأنبياء والأولياء، ثم الرضا والرضوان عن شيخنا وإمامنا سيدنا الشيخ «إبراهيم أبو خليل» غوث عصره ووارث حال والده الكبير شيخنا وإمامنا سيدنا الحاج «محمد أبو خليل» رضى الله عنهما .

ورضى الله عن أستاذنا الشيخ «محمود إبراهيم أبو خليل» وعن أستاذنا الشيخ «محمد محمود إبراهيم أبو خليل» بارك الله فى عمره وفى مدده، وبعد: فللناس عامة ولأهل الطريق خاصة، ومن أخص الخاصة (السادة الخيلية الإبراهيمية)، نفحة جديدة فى عالم التصوف والسلوك لفضيلة أستاذنا الشيخ «إبراهيم أبو خليل» تتمثل فى كتاب قيم كم أوضح من معميات وحل من طلاسم وشبهات، وبسط من معقدات فيما يتصل برياضة الروح، سالكاً مسلكاً جذاباً يتحدث فيه عن الروح والقلب والنفس والعقل وعلاقة كل وأثره فى الخلق الفردى والجماعى آتياً بكل طريف ممتع فى عالم التشريح والكيمياء، والطب والعلوم الكونية مما يسلك به إلى العقول الحديثة سبيلاً رشداً توقن معه أن طريق المتصوفة غاية ما تشده العقول الكاملة والفطر السليمة، وإنك لتقرأ هذا الكتاب فتطرب وتعجب بهذا الأسلوب السهل الممتع البالغ فى الحجة والمحجة شأواً بعيداً حيث ينتقل بك من محس إلى معنى إلى غامض إلى خفى إلى أخفى وأنت تشعر أنه يحلق بك فى سماء ما أرفع سمكها، ثم أنت إلى ذلك مطمئن قلبك، راسخة قدمك، فمن عسير يتيسر إلى صعب يسهل إدراكه بما قدم

له من دلائل وبراهين، فلا تكاد تنتهي منه حتى يضيء بين جوانحك قبس من الإيمان العميق ونور من العقيدة الشامخة يهئانك للتسليم له فيما رأى والركون إليه فيما أراد لك من خير الدنيا والآخرة، وانقياد النفوس الكريمة بالمسارعة إلى مرضاة ربها بسره اتباعاً لما أمر واجتناباً لما نهى، رضى الله عنه وحقق لنا ما نصبو إليه على يديه.

وها هو ذا عنوان الكتاب «الرياضة الروحية» يدلك على معناه نفعنا الله به آمين.

أحد الإخوان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ خَصَّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ وَلَا يُحِيطُونَ
بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ ﴿يُوتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ
الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ خُلِقَ
كَامِلَ الصِّفَاتِ الْجَسَدِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ فَلَا جَمَالَ إِلَّا مُسْتَمَدُّ مِنْهُ وَهُوَ
لَهُ أَصْلٌ كَرِيمٌ وَلَا خُلِقَ مَحْمُودًا إِلَّا مِنْ سَنَاهُ وَهُدَاهُ الْوُصُولُ بِالسِّرِّ
الرَّبَّانِيِّ الَّذِي لَا نِهَآيَةَ لِكَمَالِهِ وَلَا حَدَّ لِنَوَالِهِ وَالْأَنْبِيَاءُ كُلُّهُمْ قَبْسَةٌ
مِنْ نُورِهِ مَعْدِنُهُمْ مِنْهُ. وَالْأَوْلِيَاءُ جَمِيعُهُمْ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِهِ سِرُّهُمْ
رَاجِعٌ إِلَيْهِ فَمُعْجَزَاتُ الْأَوَّلِينَ مُبَشِّرَاتٌ بِهِ وَكَرَامَاتُ الْآخِرِينَ
مُؤَيَّدَاتٌ بِسِرِّهِ السَّارِي فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ سَرِيَانِ الْأَرْوَاحِ
الطَّاهِرَةِ فِي أَجْسَادِهَا نَسَأَلُ اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ أَنْ يَجْعَلَنَا أَهْلًا لِحُسْنِ
التَّلَقِّي مِنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَحْجُوبِينَ بِالمَادَّةِ الْكثِيفَةِ
الْجِسْمَانِيَّةِ عَنْ أَنْ تَكُونَ أَرْوَاحَنَا مُسْتَلْهِمَاتٍ مِنْ رُوحِهِ الْأَقْوَمِ
خَيْرِ نُورٍ وَسَلَامٍ نَعُودُ بِكَ اللَّهُمَّ وَقَدْ خَلَقْتَنَا فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ أَنْ
تَرُدَّنَا أَسْفَلَ سَافِلِينَ فَلَقَدْ كَرَّمْتَنَا وَفَضَّلْتَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْتَ

تَفْضِيلًا وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْنَا مَا زَكَا مِنَّا مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَأَيُّ شَيْءٍ فِي
الدُّنْيَا مَهْمًا غَلَا يَعْدِلُ لِحِظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ لِحَظَاتِ الْقُرْبِ ذَلِكَ
الْقُرْبِ الَّذِي يُوقِفُ الْعَبْدَ إِلَيْهِ نَتِيجَةً لِتَرْكِيئِهِ نَفْسَهُ وَرِيَاضَتِهَا عَلَى
الْمَكَارِمِ وَالْمَعَارِجِ حَتَّى تَقْفَادَ فَتَسْئَلُكَ فَتَعْرُجَ فِي مَقَامَاتِ
الصِّدِّيقِينَ وَالْمُقَرَّبِينَ وَلَيْسَ مَثَرًا لِلْعَجَبِ وَاللَّهْشِ أَنْ تَرَى أَنَا سَا
فَتَحَسَبَهُمْ قَدْ أَوْغَلُوا فِي مُوجِبَاتِ غَضَبِ الْجَبَّارِ إِيغَالَ مَنْ لَيْسُوا
عَنْ آثَامِهِمْ بِمُقْلَعِينَ فَإِذَا لَمَحَهُ مِنْ لَمَحَاتِ الْعِنَايَةِ تَشْيِهِمْ عَنْ
غِيهِمْ وَتَجَذِبُهُمْ نَحْوَ مَوْلَاهُمْ وَرُبَّمَا لَمْ تُلَفِ بَيْنَ الْحَالِيْنَ مَعَ
تَبَاعُدِ مَا بَيْنَهُمَا وَأَتَسَاعِ الْهُوَّةِ الَّتِي تَفْصِلُهُمَا إِلَّا لِحَظَاتٍ وَرُبَّ
مَنْ ظَنَّنَتْهُ أَوْ ظَنَّ نَفْسَهُ سَعِيدًا أَوْلَى النَّاسِ أَنْ تَسْتَرْحِمَ مِنْ أَجْلِهِ
وَتَرْتِي لَهُ وَمَا مَرَدُّ ذَلِكَ كُلِّهِ إِلَّا إِلَى الْإِسْتِعْدَادِ الرُّوحِيِّ تِلْكَ الرُّوحُ
الَّتِي كُلُّ أَمْرِهَا عَجَبٌ وَلَا عَجَبٌ.

أَمَّا طَرِيقَةُ الْقُرْبِ فَهَذَا الشَّرْعُ الشَّرِيفُ نِبْرَاسٌ لِكُلِّ مُسْتَضِيءٍ
وَهَذَا الْكِتَابُ الْمُسْتَتِينُ مَا فُرِطَ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ قُرْآنٌ كَرِيمٌ : مَنْ تَلَاهُ
وَتَدَبَّرَهُ وَتَأَمَّلَ آيَاتِهِ وَوَقَفَ عِنْدَ كُلِّ مِنْهَا وَقْفَةً أَعْتَبَارًا وَنَظَرَ إِلَيْهَا نَظْرَةً

إِكْبَارِ مُكْتَشَفًا مُسْتَوْضِحًا مُوقِنًا أَنَّهُ فِيهِ يُخَاطَبُ مَوْلَاهُ فَيَتَخَشَعُ
 حَتَّى يَخْشَعَ وَيَتَفَهَّمُ حَتَّى يَفْهَمَ وَيَتَعَلَّمُ حَتَّى يَعْلَمَ عَازِمًا عَزْمًا
 صَادِقًا عَلَى أَنْ يَهْتَدِيَ بِهِدْيِهِ عَامِلًا بِمَا عَلِمَ فَإِذَا هُوَ مَاضٍ قُدْمًا
 فِي طَرِيقِ اللَّهِ حَتَّى يُوفَى الْغَايَةَ وَيَتَحَقَّقَ فِيهِ قَوْلُ الصَّادِقِ
 الْأَمِينِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ أَوْرَثَهُ اللَّهُ عِلْمَ مَا لَمْ
 يَعْلَمُ (١).

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ لَمْ تَزَلْ كُلُّ آيَةٍ فِيهِ بَلُّ كُلِّ كَلِمَةٍ بَلُّ كُلِّ حَرْفٍ
 يَحْمِلُ أَسْرَارًا عَلِمَ ظَاهِرَهَا أَهْلُ الشَّرْعِ وَلَمْ يَزَلْ قَوْمٌ مِنْهُمْ دَائِبِينَ
 عَلَيْهِ حَتَّى صَارَ دَيْدِنَهُمُ الْقِيَامُ بِأَوَامِرِهِ فَكَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ
 بَصَائِرِهِمْ فَأَنْقَادَتْ لَهُمْ أَسْرَارُهُ بِقَدْرِ مَا وَقَرَفِي قُلُوبِهِمْ مِنْ إِيْمَانٍ
 وَرُسُوحٍ فِي الْعِلْمِ بِهِ فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ وَقَدْ خَصَّ اللَّهُ قَوْمًا مِنْ
 هَؤُلَاءِ فَأَمْتَزَجَتْ أَرْوَاحُهُمْ بِالْأَرْوَاحِ الطَّاهِرَةِ الْعَلِيَّةِ فَاسْتَقَتْ مِنْ
 شَرَابِهَا وَوَرَدَتْ مِنْ وَرْدِهَا فَاتَّحَدَتْ وَأَسْتَبَقَتْ إِلَى الْخَيْرِ وَأَثَرَتْ
 فِي أَجْسَادِهَا فَلَمْ تُؤْتِ إِلَّا خَيْرًا وَالضِّدُّ يَأْتِي بِالضِّدِّ كَمَا قَالَ رَسُولُ

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية عن أنس .

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ مَا تَعَارَفَ مِنْهَا أُتِّلَفَ وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا
أُخْتَلَفَ (١) » .

فَإِنْ أَرَدْتَ أَيُّهَا الْأَرِيبُ أَنْ تَكُونَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ
النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ فَأَدِلْ دَلْوَهُمْ وَأَقْفِ
آثَارَهُمْ وَأَدْخُلْ مُدْخَلَهُمْ وَأَذْهَبْ مَذَاهِبَهُمْ وَكُنْ مُتَّبِعًا لَا مُبْتَدِعًا
تَصِلُ وَكُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرَبِ وَصَلَ .

وَلتَجِدَنَّ مَشَاقَّ شِدَادًا وَأَهْوَالَ جِسَامًا فِي حَمْلِ نَفْسِكَ عَلَى
ذَلِكَ ، وَلَا غَرَابَةَ فَالْمُقِيمِ فِي الظُّلُمَاتِ تَخْتَلِجُ عَيْنَاهُ إِنْ فَجَّاهُ
النُّورُ فَرُويِدًا رُويِدًا وَرَفِقًا بِهَا إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَسُوسَهَا إِلَى خَيْرِ الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ وَلَا يَأْخُذُكَ الْيَأْسُ مِنْ إِضْلَاحِهَا إِنْ هِيَ قَصَّرَتْ بَلْ كُنْ
حَازِمًا قَوِيًّا رَفِيقًا وَهَيِّئْ لَهَا الزَّمَانَ وَالْمَكَانَ الصَّالِحِينَ لِأَنَّ الْبَيْئَةَ
الصَّالِحَةَ خَيْرٌ مِعْوَانٍ لَكَ عَلَى عِلَاجِهَا فَاخْتَرِ لَهَا مِنَ الْمَكَانِ أَهْدَاهُ
وَمِنَ الْوَقْتِ أَصْفَاهُ وَمِنَ الْخَلِيلِ أَوْفَاهُ حَتَّى تَرُسُخَ قَدَمُكَ وَتَصِيرَ

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

مُحِبًّا وَالْحُبُّ أَوَّلُ الْهِدَايَةِ وَمِفْتَاحُ الْعِنَايَةِ وَإِذَا أُعْطِيَ الْحُبَّ فَقَدْ
أُوتِيَ صَوْلَجَانَ الْخَيْرِ فَاسْتَمْسِكْ بِهِ فَإِنَّهُ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى لِأَنَّهُ دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّ رُوحَكَ قَدْ هَيَّئَتْ لِلْإِنْجِذَابِ بِسِرِّ خَفِيِّ إِلَى الْمَعْدِنِ
النُّورَانِيِّ وَالرُّوحُ بِطَبِيعَتِهَا تَهَشُّ وَتَفْرَحُ كُلَّمَا زَجَّ بِهَا صَاحِبُهَا إِلَى
الْمَعَارِجِ الرَّبَّانِيَّةِ لِأَنَّهَا وَطَنُهَا الْأَوَّلُ تَحْنُ إِلَيْهِ وَتَسْعُدُ بِهِ كُلَّمَا
تَسَمَّتْ رُوحَهُ وَرَيْحَانَهُ وَهِيَ نَزَاعَةٌ دَائِمًا إِلَى الطُّهْرِ تَوَاقِفَةٌ إِلَى
الْخَيْرِ بِيَدِ أَنْ عَلَيْهَا حِجَابًا بَلَّ حُجْبًا فَمَتَى تَكشَفَتْ عَنْهَا تِلْكَ
الْحُجُبُ وَأَنْقَشَعَتْ عَنْ مِرَاتِهَا الْغِيَاهِبُ وَالظُّلْمُ تَبَدَّى نُورُهَا
وَأَضْبَحَتْ كَأَنَّهَا الْكَوْكَبُ الدَّرِيُّ يَسْتَمِدُّ النُّورَ وَيُمِدُّهُ وَيَحْدُ
الْبَصَرَ وَالْبَصْرُ لَا يَحْدُهُ وَذَلِكَ مَا سَنَتَصَدَّى لَهُ مُسْتَعِينِينَ بِاللَّهِ
مُسْتَمِدِّينَ مِنْ نُورِهِ مُؤْتِنِسَةً أَرْوَاحَنَا بِالرُّوحِ الْأَعْظَمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَتَقُولُ وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ :

اعْلَمْ وَفَقِّنِي اللَّهُ وَإِيَّاكَ أَنَّ الْجِسْمَ مَادَّةٌ كَثِيفَةٌ وَالرُّوحَ مَادَّةٌ لَطِيفَةٌ
نُّورَانِيَّةٌ أَوْدَعَهَا اللَّهُ جَسَدَهَا فَهُوَ مُصَوَّرٌ بِصُورَتِهَا الَّتِي خُلِقَتْ بِهَا
مُنْذُ كَانَ خَلْقٌ وَإِنْشَاءٌ وَهَذِهِ الرُّوحُ مُؤْمِنَةٌ بِطَبِيعَتِهَا مَوْهُوبَةٌ سِرٌّ

الْحَيَاةِ وَالْبَقَاءِ وَالْعِلْمِ: فَأَنْتَ إِنْ وَافَقَ سَيْرِكَ سِرَّهَا صِرْتَ حَيًّا بَاقِيًّا
 عَلِيمًا وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ أَبَا الْبَشَرِ عَلَى صُورَتِهِ ثُمَّ سَوَّاهُ
 وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ فَوَقَعَ الْمَلَائِكَةُ لَهُ سَاجِدِينَ إِيمَانًا بِعِزَّةِ اللَّهِ
 وَعَظَمَتِهِ وَبَدِيعِ صُنْعِهِ وَسَامِي حِكْمَتِهِ حِينَ عَرَضَ الْأَمَانَةَ عَلَى
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَيُّنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا
 وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ فَأَجْدَرُ بِهِ أَنْ يَقْدِرَ تِلْكَ الْأَمَانَةَ حَقَّ قَدْرِهَا وَلَا
 يُسَلِّمَ الرُّوحَ إِلَى بَارِئِهَا إِلَّا أَنْ تَكُونَ طَاهِرَةً نَقِيَّةً فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ
 النَّاسَ عَلَيْهَا فَيَكُونُ بِذَلِكَ قَدْ آدَى الْأَمَانَةَ إِلَى أَهْلِهَا. أَنْتَ أَمِينٌ
 عَلَى جَوَارِحِكَ فَرَوِّدْهَا بِمَا يُفِيدُ عَقْلَكَ الْحِكْمَةَ وَالصَّوَابَ وَأَمِينٌ
 عَلَى نَفْسِكَ فَجَنِّبْهَا مَهَاوِيَ الْهَلَكَةِ وَمَزَالِقَ الْفَسَادِ وَأَمِينٌ عَلَى
 رُوحِكَ الْأَلَّا تُدْنِسَهَا بِشَهْوَاتٍ خَادِعَةٍ وَأَمَالٍ كَاذِبَةٍ وَسَرَابٍ خَلَابٍ
 وَأَمِينٌ عَلَى جِسْمِكَ: وَهَلْ هُوَ إِلَّا تِلْكَ الْجَوَارِحُ الْجَسَدِيَّةُ مَا عَرَفَهُ
 الْعِلْمُ وَمَا لَمْ يَعْرِفْهُ مِنْ أَعْضَاءِ إِلَى حَوَاسِّ إِلَى أَعْصَابٍ إِلَى خَلَايَا
 إِلَى دَمٍ إِلَى تَيَّارَاتٍ دَاخِلَ الْجِسْمِ نُسِبَتْ إِلَيْهَا الْحَرَكَاتُ إِرَادِيَّةٌ
 وَغَيْرُ إِرَادِيَّةٍ وَذَلِكَ بَابٌ لَوْ تَبَصَّرَهُ الْإِنْسَانُ وَخَدَهُ لَكَفَى بِهِ عَلَى

رَبِّهِ شَهِيدًا وَعَلَى عَظَمَتِهِ دَلِيلًا .

انظُرْ إِلَى السَّمْعِ وَسِرِّهِ وَالْبَصْرِ وَمَا فِيهِ وَالنُّطْقِ نَفْسِهِ وَكَيْفَ تَعَى
مَا تَسْمَعُ وَتَرَى وَكَيْفَ تُنْقِذُ مَا تُرِيدُ مِنْ جُلُوسٍ وَقِيَامٍ وَجَرِيٍّ وَأَخِذٍ
وَرَدٍّ وَكَيْفَ تُفَكِّرُ وَكَيْفَ تُسَيِّرُ عَلَى فِكْرِكَ وَتَتَحَكَّمُ فِيهِ وَكَيْفَ تُرِيدُ
ثُمَّ كَيْفَ تُسَيِّرُ عَلَى إِرَادَتِكَ وَتَتَحَكَّمُ فِيهَا وَهَذَا وَذَلِكَ مِمَّا لَيْسَ لَهُ
حَصْرٌ وَمَا فِيهِ نَصِيبٌ لِقُوَى الْإِنْسَانِ مُجْتَمِعَةً مِمَّا لَوْ أَفْضَتْ فِي
رُكْنٍ مِنْهُ لَتَبَيَّنَتْ شَيْئًا مِمَّا عَنِهُ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى
﴿ وَمَا أَوْتَيْتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ وَلَكُنْتُمْ مِمَّنْ نُوذُوا فَوَعَوْا ﴿ وَفِي ﴾ (١)
أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿ وَمَا دُمْنَا قَدْ أَمْرْنَا بِالتَّبَصُّرِ فِي النَّفْسِ فَلِمَ لَا ﴾ (٢)
نَخُوضُ فِيهَا عَلَى قَدْرِ مَا يَسْمَحُ لَنَا مَقَامُ الْعَجْزِ أَمَامَ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي
خَلْقِهِ مُسْتَلْهِمِينَ إِيَّاهُ مُسْتَعِينِينَ بِهِ صَادِعِينَ بِأَمْرِهِ . قَالَ عَزَّ شَانُهُ
﴿ وَإِذَا النُّفُوسُ رُوِّجَتْ ﴾ أَيُّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَتَنْعَمَ أَوْ تُعَذَّبَ مَقْرُونَةٌ ﴿ (٣)
بِأَجْسَادِهَا فَهَلْ مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهَا الْأَرْوَاحُ؟ إِذَا كَيْفَ نَفَسَرُ قَوْلَهُ
تَعَالَى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ﴾ وَالْأَرْوَاحُ مُتَّفِقَةٌ عَلَى أَنَّهَا بَاقِيَةٌ ﴿ (٤)
إِلَّا إِذَا أَوَّلَ مَوْتَهَا بِخُرُوجِهَا عَنِ الْأَجْسَامِ وَفَقْدَانِهَا السَّيْطَرَةَ عَلَى

الْجَوَارِحِ وَإِدَارَتَهَا حَسْبَمَا يُرْسَمُ لَهَا أَنْ تَكُونَ ثُمَّ هِيَامِهَا فِي عَالَمٍ
 آخَرَ غَيْرِ عَالَمِهَا الْمَادِيِّ وَنَسْتَشْهَدُ مَرَّةً أُخْرَى بِسَيِّدِ النَّاطِقِينَ
 بِالْعَرَبِيَّةِ بَيَانًا وَأَفْصَحِ الْخَلْقِ لِسَانًا وَأَنْظَمِهِمْ لِجَوَامِعِ الْكَلِمِ
 حَيْثُ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا لَيْسَ لَهُ نَفْسٌ سَائِلَةٌ فَإِنَّهُ لَا يَنْجِسُ
 الْمَاءَ إِذَا مَاتَ فِيهِ :^(١)

فَالنَّفْسُ إِذَا هِيَ الدَّمُ إِذْ بِهِ الْحَيَاةُ فِي الْأَجْسَامِ وَبِذَا يَكُونُ
 الْمَقْصُودُ بِالنَّفْسِ : مَعْدِنُ الْحَيَاةِ فِي كُلِّ كَائِنٍ حَيٍّ :

أَوْ نَعُودُ فنَقُولُ : لَعَلَّ الْمَقْصُودَ بِالنَّفْسِ الصِّفَاتُ الْمُقَوِّمَةُ لِلْكَائِنِ
 الْحَيِّ فَهِيَ بِالنِّسْبَةِ لِلْحَيَوَانَ نَفْسٌ حَيَوَانِيَّةٌ أَيْ مَجْمُوعَةٌ مِنْ
 الصِّفَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ تَقُومُ بِهَا حَيَوَانِيَّتُهُ وَبِالنِّسْبَةِ لِلْإِنْسَانِ
 مَجْمُوعَةٌ مِنْ الصِّفَاتِ الْجَلِيَّةِ وَالْخَفِيَّةِ تَقُومُ بِهَا بَشَرِيَّتُهُ ففُلَانٌ ذُو
 نَفْسٍ عَالِيَةٍ أَيْ ذُو صِفَاتٍ كَوْنَتْ لَهُ شَخْصِيَّةٌ عَالِيَةٌ قَوِيمةٌ جَمَعَتْ
 كُلَّ صِفَاتِ الْفَضْلِ أَوْجَلَّهَا .

وَقَدْ يُعْبَرُ بِالنَّفْسِ عَنِ الذَّاتِ كَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وَسَلَّمَ: وَالَّذِي نَفْسٌ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ: أَيُّ ذَاتُهُ الشَّرِيفَةُ صَلَوَاتُ
 اللَّهُ عَلَيْهِ. وَأَمَّا قَوْلُهُمْ: نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ فَعَلَى حَدِّ الْقَوْلِ:
 الْفَضْلُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرْمُ بَيْنَ بُرْدَيْهِ يُرِيدُ بِذَلِكَ الْأَذَاتَ الْفَاضِلَةَ
 الْكَرِيمَةَ وَيَكُونُ قَدْ وَصَفَهَا بِقَوْلِهِ بَيْنَ جَنْبَيْكَ بِوَصْفٍ مُلَازِمٍ لَهَا
 تَأْكِيدًا كَقَوْلِكَ رَأَيْتُهُ بِعَيْنِي إِذِ الرَّؤْيِيَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا بِالْعَيْنِ وَإِنَّمَا ذَكَرَهَا
 تَأْكِيدًا لِلرُّؤْيِيَةِ.

وَمَهْمَا يَكُنْ مِنْ شَيْءٍ فَقَدْ تَبَيَّنَ وَأَتَّضَحَ أَنَّ النَّفْسَ مُخْتَلِفَةً
 وَأَنَّهَا تَشْقَى أَوْ تَسْعَدُ وَتَصْلُحُ أَوْ تَفْسُدُ وَتَعْصِي أَوْ تُطِيعُ وَتُسْمِرُ فِيهَا
 التَّرْبِيَةَ كَمَا يَضِيرُهَا الْإِهْمَالُ وَالتَّقْصِيرُ وَلِهَذَا كَانَ الْأَمَلُ قَوِيًّا فِي
 إِصْلَاحِ كُلِّ مُعَوِّجٍ وَتَقْوِيمِهِ وَقَدْ خُلِقَ الْإِنْسَانُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ
 وَعَلَى أَكْمَلِ نَمُودَجٍ فَهُوَ بِالْفِطْرَةِ مُسْتَعِدٌّ لِبُلُوغِ الْغَايَةِ مِنَ الْكَمَالِ
 الْإِنْسَانِيِّ إِنْ وُفِّقَ لِنَفْسِهِ فَرَكَّاهَا ﴿ وَفَدَخَابَ مِنْ دَسَّانَهَا ﴾ وَسُبْحَانَ (١)
 مَنْ أَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا وَمَا أَعْظَمَ خُسَارَةَ عَبْدٍ نَسِيَ اللَّهَ فَأَنَسَاهُ
 نَفْسَهُ فَلَمْ يُصْلِحْهَا وَإِذَنْ فَلِكُلِّ إِنْسَانٍ أَنْ يَرْجُوَ لِنَفْسِهِ وَقَارًا وَلَيْسَ

مِنْ شَأْنِ أَحَدٍ أَنْ يَدَّعَى أَنْ فُلَانًا لَنْ يَكُونَ خَيْرًا مَثَلًا فَقَدْ ثَبَتَ
 لَدَيْنَا بِالذَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَنَّ كَثِيرِينَ مِمَّنْ كَانُوا عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ
 النَّارِ انْقَدُوا مِنْهَا بَعْدَ أَنْ رَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ بِهِدَايَةِ اللَّهِ فَتَعَهَّدُوهَا
 وَمَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَعِظٌ لَمْ تَنْفَعُهُ الْمَوَاعِظُ وَلَا تَزَالُ النَّفْسُ
 ذَاتَ مَيْلٍ شَدِيدٍ إِلَى الضَّرَارِ حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنْ أَوْشَابِ الْمَادَّةِ
 وَأَكْدَارِهَا وَتَخْرُجَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَلَوْ تَعَهَّدَهَا ثَمَّةَ رَاعٍ أَمِينٍ
 عَلَيْهَا خَيْرٌ بِهَا لَبَلَّغْتَ بِهِ أَفْصَى مَا يُرْجَى لَهَا مِنْ خَيْرٍ. وَإِنَّمَا
 اشْتَرَطْنَا الْخِبْرَةَ وَالْأَمَانَةَ لِأَنَّ لِلنَّفْسِ مَدَاخِلَ خَفِيَّةً لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا
 الْفِطْنُ اللَّيْبُ الْحَادِقُ الْأَرِيْبُ يُنْبِتُكُ بِهَا عَنْ خِبْرَةٍ وَلَا يُنْبِتُكُ
 مِثْلُ خَيْرٍ.

وَلِذَا قِيلَ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ لِأَنَّهُ سَيَسُوسُهَا وَلَهَا
 مَرَاتِبٌ وَدَرَجَاتٌ فَلَا يَزَالُ يَرْقَى بِهَا وَقَدْ تَتَابَى عَلَيْهِ وَهُوَ يَرُوضُهَا
 فَلَا يَلْبَثُ إِنْ كَانَ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ أَنْ يُعَالِجَهَا تَارَةً بِالرِّفْقِ وَتَارَةً
 بِالْعُنْفِ حَتَّى تَسْتَكِينَ لِحَزْمِهِ فَتَسْخَطِي الْعُقْبَاتِ ثُمَّ تَنْظُرَ إِلَى مَا

كَانَتْ عَلَيْهِ فَتْرَى عَجَبًا: كَيْفَ رَضِيتَ حِينًا مِنَ الدَّهْرِ أَنْ تَطْمَئِنَّ
إِلَى حَالِهَا وَقَدْ كَانَتْ شَيْئًا مَهِينًا فَتُقَرَّرَ حِينَتِي بِالْفَضْلِ لِصَاحِبِهَا
وَتُسْتَرِيحَ إِلَى قُوَّتِهِ وَصِرَامَتِهِ أَوْ لِبَاقَتِهِ وَكِيَاَسَتِهِ. إِنَّ نَفْسَكَ أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ لَشَيْءٌ جَلِيلٌ خَطِيرٌ:

وَتَزْعُمُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ

وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

نَعَمْ لَوْ كُنْتَ شَيْئًا تَافِهًا مَا كَانَتْ لَكَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ
مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ تَعَالَى وَكَيْفَ تَكُونُ حَقِيرًا وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ لَكَ مَا
فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا. لَوْ تَبَصَّرْتَ فِي الْكَوْنِ كُلِّهِ عُلُوِّيَّهِ وَسُفْلِيَّهِ
لَوَجَدْتَهُ سَاهِرًا عَلَيْكَ مَعْنِيًا بِكَ قَائِمًا لَكَ فَالْأَرْضُ تَدُورُ أَوْ تَدَارُ
حَوْلَ الشَّمْسِ الْعَظِيمَةِ لِيَكُونَ ثَمَّةَ لَيْلٍ فِيهِ سُكُونُكَ وَسُبَاتُكَ وَنَهَارٌ
فِيهِ مَعَاشُكَ وَحَاجَاتُكَ وَهَذَا الْهَوَاءُ الْمُحِيطُ بِهَا مُرَكَّبٌ تَرْكِيبًا
ثَابِتًا بِحَيْثُ يَقْبَلُهُ جِسْمُكَ وَيَصْلُحُ بِهِ.

وَالنَّبَاتُ وَكُلُّهُ غَرَائِبٌ وَأَيَاتٌ سَوَاءٌ مَا يَتَّصِلُ بِحَيَاتِهِ أَوْ نَمَائِهِ أَوْ

إِزْهَارِهِ وَإِثْمَارِهِ مَا كَانَ إِلَّا لَكَ بِهِ تُغْذَى وَتُقَاتُ بِهِ تَتَفَكَّهُ وَتَتَطَبَّبُ
وَمِنْهُ تَسْتَصْنَعُ مَا تَشَاءُ .

وَالْحَيَوَانَ بُرِّيَّهُ وَبَحْرِيَّهُ مَا هُوَ إِلَّا لَكَ لَا يَشُدُّ عَنْ ذَلِكَ أَىُّ مِنْهُ
لَكَ فِيهِ طَعَامٌ وَدِفْءٌ وَمَنَافِعُ .

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكَ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَ الظِّلَّ سَاكِنًا أَوْ
لَقَبَضَهُ عَنْكَ .

وَالْمَاءُ وَكَيْفَ رُكِّبَ مِنْ عَنَاصِرٍ مِنْهَا لِلْجِسْمِ غِذَاءٌ وَشِفَاءٌ
وَجَعَلَ لَهُ وَهُوَ سَائِلٌ قُوَّةٌ يَحْمِلُ بِهَا الْجَوَارِي الْمُنْشَاتِ فِي الْبَحْرِ
كَالْأَعْلَامِ وَمِنْ عَجَبٍ أَنَّهُ إِذَا بَرَدَ فَجَمَدَ كَانَ أَحْفَ مِنْهُ سَائِلًا كَى
يَطْفُو الْجَلِيدُ فِي الْمَنَاطِقِ الْبَارِدَةِ فَيَقَى مَا تَحْتَهُ أَنْ يَتَجَمَدَ وَلَوْ
تَجَمَدَ لَسَجَرَ الْبَحْرُ وَهَلَكَ مَا فِيهِ مِنْ حَيَوَانٍ فَلَمْ تَعُدْ تَنْفَعُ بِهِ
خَائِضًا ثَبَجَهُ تَبْتَغَى مِنْهُ مَعَايِشَ أَوْ سَالِكًا بِهِ سُبُلًا، وَغَيْرُ هَذَا وَذَلِكَ
مِمَّا لَوْ تَصَدَّقْنَا لَهُ مَا وَسِعَهُ عِلْمٌ وَلَا إِدْرَاكٌ . إِذَا فَاطَمْنَا أَيُّهَا
الْإِنْسَانُ وَكُنْ عَزِيْرًا وَنَزِيْرًا نَفْسِكَ عَنْ أَنْ تَنْزَلَ بِهَا أَسْفَلَ سَافِلِينَ

وَقَدْ خَلَقَكَ اللَّهُ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَلِلَّهِ دَرُّ مَنْ قَالَ :

غَالِي بِنَفْسِي عِرْفَانِي بِقِيمَتِهَا

فَضَّتْهَا عَنْ رَخِيصِ الْقَدْرِ مُبْتَذِلَ

فَتَرَفَّعَ عَنِ الدُّنَايَا وَأَنْزَلَ نَفْسَكَ مُنْزَلًا تَحْمَدُهُ لَكَ يَوْمَ تَتَّبِعُهُ مِنْ
غَفْلَتِهَا فَتَعْلَمُ أَنَّكَ كَرَّمْتَهَا كَمَا خَلَقَكَ مَوْلَاكَ مُكْرَمًا وَفَضَّلَكَ عَلَى
كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا .

وَأَجْعَلُ أَطْهَرَ النُّفُوسِ عَلَى صَاحِبِهَا أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ وَالتَّسْلِيمِ
مِيزَانًا لَكَ فَقَدْ ثَبَتَ بِالدَّلِيلِ الْقَاطِعِ أَنَّ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَقْوَى رُوحٍ وَأَمْنَعَهُ فَقَالَ الصَّادِقُ الْمُصَدِّقُ: مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى
حَقًّا فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي (١) : وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِأَنَّ رُوحَهُ عَالِيَةٌ لَا
يُتَطَاوَلُ إِلَيْهَا حَصَّةُ اللَّهِ بِذَلِكَ أَمَا كَوْنُ الشَّيْطَانِ يَتِمَثَّلُ أَحْيَانًا بِرَبِّ
الْعِزَّةِ فَذَلِكَ شَيْءٌ لَا يَلْتَبِسُ عَلَى ذَوِي الْعُقُولِ فَرَبُّ الْعِزَّةِ لَيْسَ
كَمِثْلِهِ شَيْءٌ حَتَّى يُتِمَثَّلَ بِهِ .

(١) متفق عليه .

فَإِنْ كُنْتَ ذَا حِرْصٍ شَدِيدٍ عَلَى أَنْ تَكُونَ لَهَا مُكْرِمًا وَعَلَيْهَا قَوَّامًا
فَالطَّاعَةَ تَأْجُكَ وَالذُّلَّ لِلَّهِ مِعْرَاجُكَ وَالْإِنْكَسَارَ لِعَظَمَتِهِ صَوْلَجَانُكَ
فَالرَّبُّ رَبُّ وَقْصَارَى الْعَبْدِ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا خَالِصَ الْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّهِ
وَهَذَا هَامَةٌ الشَّرْفِ لِمَنْ أَرَادَ عِزَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ .

وَالْعُبُودِيَّةُ الْحَقُّ أَنْ تُشْعِرَ نَفْسَكَ أَنَّكَ عَبْدٌ مُفْتَقِرٌ إِلَى رَبِّكَ
وَكَلَّمَا أَوْعَلْتَ فِي هَذَا الْمَقَامِ كُلَّمَا ذُقْتَ حَلَاوَةَ الْقُرْبِ مِنْ
مَوْلَاكَ .

وَخَيْرُ الْعِبَادَةِ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ
وَهَذَا هُوَ مَقَامُ الْإِحْسَانِ وَمِنْ الطَّرِيفِ مَا يُفَسِّرُ بِهِ الصُّوفِيَّةُ هَذَا
الْحَدِيثَ إِذْ عَدُّوا شَطْرَهُ الْأَخِيرَ رَمْزًا لِلخُرُوجِ عَنِ النَّفْسِ وَشَهَوَاتِهَا
وَنَزَوَاتِهَا فَقَوْلُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : فَإِنْ لَمْ تَكُنْ : مَعْنَاهُ فِي
رَأْيِهِمْ : فَإِنْ فَنَيْتَ عَنْ كَوْنِكَ أَى عَنْ وُجُودِكَ أَى عَنْ عَالَمِ نَفْسِكَ
وَأَهْوَائِهَا عَلَى حَدِّ قَوْلِ قَائِلِهِمْ :

تَغَيَّبْتُ عَنْ نَفْسِي فَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَنَا . وَيَعْدُونَ كُلَّ فَإِنْ فِي رَبِّهِ عَنْ

نَفْسِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَقَدْ هَجَرَ نَفْسَهُ أَيْ أَلْقَى حَدِيثَهَا
 وَرَاءَهُ ظَهْرِيًّا فَلَمْ يَلْتَمِثْ إِلَيْهَا وَأَقْبَلَ عَلَى اللَّهِ لَا تَشْبِيهِ عَنْهُ أَمَانِيٌّ وَلَا
 أَطْمَاعٌ وَلِعَمْرِي إِنْ ذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِجِهَادٍ شَاقٍّ مَرِيرٍ دُونَهُ الْجِهَادُ
 فِي سَاحَةِ الْوَعْيِ حِينَ يَحْمَى الْوَطِيسُ وَتَسْتَعْرِ الْمَعَامِعُ وَتَبْلُغُ
 الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ كَقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَادَ
 بِأَصْحَابِهِ مِنْ إِحْدَى غَزَوَاتِهِ رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ
 الْأَكْبَرِ فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ قَالَ جِهَادُ النَّفْسِ :
 جِهَادُكَ نَفْسَكَ وَهَوَاهَا : رَوَايَةٌ (١) .

وَأَنَّهَا لَمَنْزِلَةٌ لَا يَبْلُغُ شَأُوهَا إِلَّا الْأَصْنَادِيدُ الْأَبْطَالُ أَوْلُو الْعَزْمِ
 وَالْهَمَمِ مَنْ قَالَ فِي بَعْضِ صِفَاتِهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ : لَيْسَ
 الشَّدِيدُ بِالْصُّرْعَةِ إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ (٢) :

عَرَفَ الصُّوفِيَّةُ ذَلِكَ فَجَعَلُوا جَزَاءَ الْفَانِي فِي رَبِّهِ رُؤْيَةَ وَجْهِهِ
 الْكَرِيمِ رُؤْيَةَ تَمَلُّاً جَوَارِحَهُ مِنْ دُونِ مَا حَضَرَ وَلَا كَيْفٍ وَلَا كَمِّ

(١) رواه البيهقي في سننه عن جابر ورواه الخطيب عنه أيضا وهو مشهور على السنة الناس .

(٢) متفق عليه .

وَذَلِكَ أَجَلٌ مَّا يَلْقَاهُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْ نَعِيمٍ : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا

(١) الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ : ﴿

وَلَا وَجْهَ لِلْإِعْتِرَاضِ عَلَى الْقَائِلِينَ بِإِمْكَانِ الرُّؤْيَةِ فَإِنْ عَمَادَهُمْ

(٢) فِي مَذْهَبِهِمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى : ﴿ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

وَقَوْلُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ أَرْبَعِ عَشْرَةَ (٣) :

وَلَيْسَ أَهْلًا لِذَلِكَ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ إِلَّا مَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ ؛ قَلْبٌ

أُوتِيَ الْمَعْرِفَةَ فَاتَّسَعَ لِلْعَلِيمِ الْخَيْرِ كَمَا رَوَى سَيِّدُ الْأَمْنَاءِ عَنْ

رَبِّهِ : مَا وَسِعَنِي أَرْضِي وَلَا سَمَائِي بَلْ وَسِعَنِي قَلْبُ عَبْدِي

الْمُؤْمِنِ (٤) :

فَمَا هَذَا الْقَلْبُ الَّذِي وَسِعَ مَا ضَاقَتْ عَنْ أَنْ تَتَّسَعَ لَهُ الْأَرْضُ

وَالسَّمَوَاتُ حَاشَا لِلَّهِ أَنْ يَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مَكَانٌ أَوْ يُؤَثِّرَ فِيهِ زَمَانٌ وَهُوَ

خَالِقُ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ إِنَّمَا أَلْسَعُهُ هُنَا الْمَعْرِفَةُ الْحَقَّةُ وَعَبَّرَ عَنْهَا

(٣) رواه البخاري في صحيحه . (٤) رواه أحمد في الزهد .

بِالرُّؤْيَةِ لِبُلُوغِهَا دَرَجَةَ الْيَقِينِ الْكَامِلِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْقَائِلِ :

رَأَيْتُ اللَّهَ أَكْبَرَ كُلِّ شَيْءٍ

مُحَاوَلَةً وَأَكْثَرَهُمْ جُنُودًا

فَأَيْنَ لِلْقَلْبِ هَذَا الْقَدْرُ الْخَطِيرُ وَالشَّانُ الْجَلِيلُ لَوْ كَانَ جَسَدًا
فَحَسَبُ مَا كَانَ شَيْئًا مَذْكُورًا .

إِنَّمَا هُوَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ مَهْبِطُ الرُّوحِ وَالرُّوحُ نُورَانِيَّةٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ لَهَا
الْحَيَاةُ وَالْبَقَاءُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ تَخْرِقُ الْحُجُبَ وَتَتَخَطَّى الْحَوَاجِزَ
وَلَا تَقْفُهَا عَوَائِقُ وَلَا تَحُولُ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَرَمَاهَا حَوَائِلُ وَالْقَلْبُ بِهَا مَا
صَفَتْ مِرَاتُهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ وَذَرَّةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ عَمَلِ الْقَلْبِ حِينَدٍ تَرِنُ
عَمَلِ الثَّقَلَيْنِ ؛ وَتَمَثِيلًا لِهَذَا تَصَوَّرَ الرُّوحَ نَاطِرَةً وَالْقَلْبَ مِنْظَرًا
فَكُلَّمَا كَانَتْ صَفْحَةُ الْقَلْبِ مَجْلُوءَةً كَانَتْ الرُّوحُ مُطْلَقَةً لِأَنَّهَا
سَتُشْرِفُ مِنْ مَرْقَبٍ لَمْ يُطْبَعْ عَلَيْهِ رَانَ وَلَمْ تُكَدِّرْ صَفْحَتَهُ غِشَاوَةٌ .

وَالْقَلْبُ عَلَى مَا يَبْدُو : لَهُ وَظِيفَتَانِ : مَادِيَّةٌ وَمَعْنَوِيَّةٌ وَكِلْتَاهُمَا
مُؤَثَّرَةٌ فِي الْأُخْرَى وَمُكَيِّفَةٌ لَهَا .

فَالْقَلْبُ يُوزَعُ الدَّمُ الصَّالِحَ بِنِظَامٍ وَبِلَا انْقِطَاعٍ أَوْ تَوَانٍ تَوْزِيْعًا
يَنْتَظِمُ الْجِسْمُ كُلُّهُ انْتِظَامًا غَايَةً فِي الدِّقَّةِ وَعَجَبًا فِي الإِحْكَامِ
وَالْإِتْقَانِ : صُنِعَ اللهُ الَّذِي اتَّقَنَ كُلَّ شَيْءٍ : مُنْذُ كَانَتْ تُجْنُهُ
الْأَرْحَامُ إِلَى أَنْ يَسْتَوْفِيَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ فَهُوَ عَامِلٌ لَا يَغْفُلُ وَلَا يَنَامُ
يَنْقَبِضُ وَيَنْبَسِطُ وَبَيْنَ انْقِبَاضِهِ وَأَنْبِساطِهِ تَتَلَقَّى كُلُّ خَلِيَّةٍ مِنْ
خَلَايَا الْجِسْمِ وَكُلُّ شُعَيْرَةٍ مِنْ شُعَيْرَاتِهِ مَدَدَهَا مِنْهُ بِقَدَرِ مَعْلُومٍ لَا
يَنْقُصُ وَلَا يَزِيدُ وَتَنْمُو كُلُّ جَارِحَةٍ نُمُوَهَا وَتَأْخُذُ مِنَ الدَّمِ حَاجَتَهَا لَا
تَغْلُ وَلَا تَغْلُو؛ فَلِلْعَيْنِ مِنْهُ نُورٌ الْإِبْصَارِ . وَلِلْأُذُنِ قُوَّةُ السَّمْعِ وَلِلْمُخِّ
مِنْهُ قُوَّةُ الذَّاكِرَةِ وَتَكْيِيفُ الْمُحَسَّاتِ وَالْمَعْنَوِيَّاتِ . وَلِلْعَقْلِ مِنْهُ
قُوَّةُ الْإِتِّزَانِ وَالْهَيْمَنَةِ عَلَى الْمِيُولِ الْجِسْمِيَّةِ وَالْمَعَارِجِ الرُّوحِيَّةِ
وَفِي كُلِّ دَقَّةٍ مِنْ دَقَّاتِهِ الْمُبَارَكَاتِ يَخْتَلِجُ الْجِسْمُ كُلُّهُ آخِذًا
صَالِحًا وَرَادًا فَاسِدًا ثُمَّ يُسْتَصْلَحُ ثُمَّ يُؤَدَّى إِلَى هَذَا الْقَلْبِ
الْعَجِيبِ لِيُوزَعَ مِنْ جَدِيدٍ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ يَحِينَ حِينُهُ فَيَهْدَأُ ثُمَّ
يَسْكُتُ إِلَى حِينٍ .

فَهَلْ كَانَ الْقَلْبُ فِي دَقَّاتِهِ وَنَبْضِهِ وَحَيَاتِهِ وَإِمْدَادِهِ مُؤْتَمِرًا بِأَمْرِ

آخَرَ فِي هَذَا الْجِسْمِ الْعَجِيبِ ؟.

لَقَدْ تَحَدَّثَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّ لِلْمَخِّ وَهُوَ فِي عُلْيَائِهِ سُلْطَانًا قَوِيًّا عَلَى حَرَكَاتِ الْجِسْمِ كُلِّهَا إِرَادِيَّةٍ وَغَيْرِ إِرَادِيَّةٍ شُعُورِيَّةٍ وَغَيْرِ شُعُورِيَّةٍ. وَلَوْ أَنَّهُ عَطَبَ لِسَبَبٍ مَا أَوْ تَوَقَّفَ لَكَانَ ذَلِكَ حَدًّا فَاصِلًا بَيْنَ حَيَاةِ الْكَائِنِ وَفَنَائِهِ.

أَمَّا أَثَرُ الْقَلْبِ نَفْسِيًّا أَوْ مَعْنَوِيًّا فَإِنَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ لِأَمْرًا عَجَبًا فَهُوَ مَرْكَزُ التَّأَثُّرِ بِالْعَطْفِ وَالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالْحَذَرِ وَالْغَضَبِ وَالرِّضَا وَالسُّرُورِ وَالْحُزْنَ وَالزُّهْدِ وَالْقَنَاعَةَ وَالطَّمَعِ وَالشَّوْقِ وَالذِّكْرَ وَالْإِيمَانَ وَالشُّكَّ وَالْحِقْدَ وَالْكَرَاهِيَّةَ وَالْحَسَدَ وَالصِّدْقَ وَالْكَذِبَ ... الخ ...

بَلْ تَكَادُ تَكُونُ جَمِيعُ الْمَعَانِي النَّفْسِيَّةِ ذَاتَ أَثَرٍ سَرِيعِ الْقَصْدِ إِلَى الْقَلْبِ ذَاتِهِ يَخْفُقُ لَهَا وَيَتَأَثَّرُ بِهَا وَيَخْتَلِجُ تَبَعًا لَهَا حَتَّى إِنَّكَ لَتَجِدُ الْكَثِيرِينَ مِنَ الْمُخْتَرِعِينَ وَالْعُلَمَاءِ النَّفْسِيِّينَ يَعْرِفُونَ الْمُتَحَدِّثَ إِنْ كَانَ صَادِقًا أَمْ كَاذِبًا بِقِيَاسِ نَبْضِهِ عَلَى آلَاتِ حَسَّاسَةٍ خَاصَّةٍ تُبَيِّنُ صِدْقَهُ مِنْ كَذِبِهِ.

فَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ تَرَى أَنَسًا يَسْتَشْفُونَ بِأَرْوَاحِهِمْ بَعْدَ رِيَاضَتِهَا
سَرَائِرِ الْقُلُوبِ وَخَوَاطِرِ النُّفُوسِ مِنْ دُونِ مَا حَاجَةٌ إِلَى آلَاتِ
وَوَسَائِطِ .

وَإِنَّمَا قُلْنَا إِنَّ الْقَلْبَ مَرْكَزُ التَّأَثُّرِ بِالْإِنْفِعَالَاتِ لَا مُحَدِّثُهَا لِمَا
يَبْدُو عَلَيْهِ مِنْ أَثَرِهَا فَهِيَ إِذَا لَيْسَ فَاعِلُهَا إِنَّمَا الْمُحَدِّثُ لَهَا هُوَ
النَّفْسُ وَمَا تَتَأَثَّرُ بِهِ وَإِنَّكَ لَتَجِدُ اخْتِلَافًا بَيْنَ الْقُلُوبِ

فَقَدْ يَكْرَهُ أَحَدٌ مَا يُحِبُّ الْآخَرُ وَيَحْذَرُ هَذَا مَا يَطْمَئِنُّ إِلَيْهِ ذَلِكَ
وَتَغْضَبُ أَنْتَ مِنْ شَيْءٍ لَوْ أَتَاهُ شَخْصٌ مَا وَتَرْضَى أَمَّ الرِّضَا لَوْ
أَتَى هَذَا الشَّيْءَ نَفْسَهُ شَخْصٌ سِوَاهُ وَعَلَى ذَلِكَ فَالرَّاضِي أَوْ
الْغَاضِبُ هُوَ النَّفْسُ وَلَيْسَ الْقَلْبَ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَالنَّفْسُ رَاغِبَةٌ إِذَا رَغِبَتْهَا

وَإِذَا تُرِدُّ إِلَى قَلِيلٍ تَقْنَعُ

فَإِذَا أَحْبَبْتَ شَيْئًا كَانَتْ نَفْسُكَ هِيَ الْمُحِبَّةُ وَقَلْبُكَ هُوَ الْمُتَأَثِّرُ

مَادِيًا وَمَعْنَوِيًا بِهَذَا الْحُبِّ .

وَإِنَّمَا خُضْنَا فِي هَذَا لِأَنَّ نَهْدَفُ إِلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ هُوَ التَّهْدِيبُ
وَالْتَأْدِيبُ وَالسُّلُوكُ فَأَيُّ شَيْءٍ نُهْدَبُ ؟ لِيَكُونَ أَسْهَلَ طَرِيقًا وَأَقْرَبَ
قَصْدًا وَأَقْوَمَ سَبِيلًا: أَنُهْدَبُ الْجِسْمَ وَحَرَكَاتِهِ ؟ سَنَكُونُ إِذَا كَمَنُ
يَبْنِي عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ فَأَجْدِرُ بِنَائِهِ أَنْ يَنْهَارَ أَمْ نُهْدَبُ الْقَلْبَ ؟
فَالْقَلْبُ مُتَأَثِّرٌ كَمَا أَسْلَفْنَا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ مُؤَثِّرًا. أَمْ نُهْدَبُ النَّفْسَ ؟
وَلَعَلَّكَ قَدْ أَدْرَكْتَ أَنَّهَا كُلُّ شَيْءٍ هِيَ عِمَادُ السُّلُوكِ وَالسَّيْرِ. وَقَدْ
وَهَبَ اللَّهُ لَنَا عَقْلًا نَفْرُقُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَهِدَايَةً إِلَى أَيِّهِمَا
نَقْصِدُ . وَإِرَادَةٌ نَتَحَكَّمُ بِهَا فِي أَهْوَائِنَا وَذَكَاءٌ سَيُحَاسِبُنَا عَلَيْهِ فَلِمَ
لَا نُفِيدُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ فِي تَهْدِيبِ هَذِهِ النَّفْسِ وَإِرْجَاعِهَا إِلَى الْفِطْرَةِ
الَّتِي فَطَرَهَا اللَّهُ عَلَيْهَا ؟ وَلَسْنَا نُرِيدُ بَدَاهَةً أَنْ نَنْفِيَ عَنِ النَّفْسِ
أَنْفِعَالَاتِهَا وَنُجَرِّدَهَا مِنْهَا فَذَلِكَ مَا لَا نَسْتَطِيعُ لِأَنَّهُ شَيْءٌ خُلِقَ مَعَهَا
يَوْمَ خُلِقَتْ وَإِنَّمَا نُرِيدُ أَنْ نَعْلِمَ أَنْفُسَنَا: مَتَى تَرْضَى ؟ وَمَتَى

تَغْضَبُ ؟ وَفِيمَ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَرْغَبَ وَمَاذَا يَجِبُ أَنْ تَتَجَنَّبَ .

أَمَّا وَقَدْ عَلِمْتَ مِمَّا سَبَقَ أَنَّهُ كَلَّمَا كَانَتِ النَّفْسُ رَاضِيَةً كَانَ الْقَلْبُ رَاضِيًا فَيَنْبِضُ بِالرِّضَا فَتَتَأَثَّرُ بِهِ الْجَوَارِحُ لِسُلْطَانِهِ عَلَيْهَا فَيَحْدُثُ نَشَاطٌ فِي الْجِسْمِ كُلِّهِ أَسْتِجَابَةٌ لِهَذَا وَمِنْهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

وَإِذَا حَلَّتِ الْهِدَايَةُ قَلْبًا

نَشَطَتْ فِي الْعِبَادَةِ الْأَعْضَاءُ

وَمِنْ هُنَا كَانَ الْقَلْبُ وَتَأَثَّرَهُ مُخْتَلِفًا تَبَعًا لِشَاكِلَةِ النَّفْسِ الْمُسَيِّطَةِ عَلَيْهِ وَمَرْكَزِ الشُّعُورِ الْبَاطِنِ وَالْعَقْلِ الظَّاهِرِ إِزَاءَهَا وَقَدْ يَتَعَدَّى تَأْثِيرُ الْقَلْبِ جِسْمَ صَاحِبِهِ إِلَى أَجْسَامِ الْآخَرِينَ وَقُلُوبِهِمْ بَعْدُوا أَوْ دَنَوْا عَلَى قَدْرِ قُوَّةِ الْإِنْفِعَالِ فِيهِ أَوْ فُتُورِهِ ؛ فَقَدْ يُؤَثِّرُ أَنْفِعَالُ الْحِقْدِ وَالْحَسَدِ مَثَلًا فِي جِسْمِ صَاحِبِهِ فَيُصِيبُهُ بِالْهُزَالِ وَالْأَضْطِرَابِ وَالْإِزْتِبَاكِ عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْقَائِلِ:

إِصْبِرْ عَلَى كَيْدِ الْحَسُودِ

فَإِنَّ صَبْرَكَ قَاتِلُهُ

النَّارُ تَأْكُلُ بَعْضَهَا

إِنْ لَمْ تَجِدْ مَا تَأْكُلُهُ

وَقَدْ يَشْتَدُّ الْأَنْفَعَالُ فِيهِ وَيَقْوَى حَتَّى لِيَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ كَمَا
قَدَّمْنَا فَيَحْدُثُ مَا يُسَمَّى بِالْحَسَدِ أَوْ «الْعَيْنِ» وَهَذَا ثَابِتٌ قَدِيمًا
وَحَدِيثًا وَلَا خِلَافَ فِيهِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِلَى مُعَارِضِيهِ فَالْعَيْنُ حَقٌّ وَقَدْ
قِيلَ : اتَّقُوا سُمَّ الْأَعْيُنِ وَ«اتَّقُوا الْعَيْنَ فَإِنَّهَا تَدْخُلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ
وَالْجَمَلَ الْقَدْرَ» وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْعَيْنِ الْجَارِحَةَ الْمَعْرُوفَةَ وَلَكِنْ هِيَ
النَّفْسُ بِدَلِيلِ أَنَّ الْأَعْمَى قَدْ يَكُونُ عَائِنًا «حَاسِدًا» وَإِنَّمَا عُبِّرَ
بِالْعَيْنِ لِأَنَّهَا غَالِبًا الْأَدَاةُ الْأُولَى لِتَوْصِيلِ الْمَرْتَبِيِّ إِلَى الْمُخِّ فَيَكْتِفُهُ
وَيَحْكُمُ عَلَيْهِ وَيَتَأَثَّرُ بِهِ تَأَثَّرًا يَتَفَقُّ وَنَفْسُ صَاحِبِهِ فَإِنْ غَفَلَ الضَّمِيرُ
وَلَمْ يَتَدَخَّلِ الْعَقْلُ هُنَا تَأَثَّرَ الْقَلْبُ فَالْجَوَارِحُ وَهَكَذَا .

وَلَيْسَ لِلْجَوَارِحِ هُنَا دَخْلٌ فِيمَا أَصَابَ الْمُحْسُودَ مِنْ ضُرِّ فَائِدَةٍ
 شَيْءٍ أَعْجَبُ مِنْ أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَبْرُحْ مَكَانَهُ وَلَمْ يَرْفَعْ يَدًا وَلَمْ يَنْقُلْ
 قَدَمًا إِلَّا أَنَّهُ سَدَّدَ سَهْمًا مِنْ سِهَامِ قَلْبِهِ الْمُشْتَعِلِ حَقْدًا وَوَجَّهَهُ إِلَى
 فَرِيستِهِ فَمَا لَبِثَتْ أَنْ أُصِيبَتْ فِي مَوْطِنِ الْأَعْجَابِ، وَأَعْجَبُ مِنْهُ
 أَنَّهُ مَا يَكَادُ يُصَابُ الْمُحْسُودُ فَيَذَرُكَ قَلْبٌ رَحِيمٌ فَيُوجِّهُ إِلَيْهِ
 شُعَاعًا مِنْ رَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ حَتَّى يَنْهَضَ كَأَنَّمَا هُوَ بَعِيرٌ نَشِطٌ مِنْ
 عَقَالِهِ فَيَنْظُرُ كَيْفَ أَثَرِ الْأَوَّلِ بِالضَّرَاءِ ثُمَّ أَعْجَبُ كَيْفَ أَثَرِ الْآخِرِ
 بِالسَّرَاءِ .

وَإِذَنْ يَكُونُ مُكَابِرَةً أَنْ نَنْفِي النِّفْعَ لِبَعْضِ الْقُلُوبِ بِمَا فِيهَا مِنْ
 الْقُوَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ وَالسِّرِّ النُّورَانِيِّ وَلَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ لِبَعْضِ مِنْهَا
 إِغَاثَةٌ يُغَاثُ بِهَا الْمَكْرُوبُ بَعْدَ أَوْ دَنَا فَالْمَسَافَاتُ أَمَامَ الْقُلُوبِ
 الْمُؤَثِّرَةِ ضَرًّا أَوْ نَفْعًا لَا تُقَاسُ بِأَطْوَالٍ وَأَبْعَادٍ إِنَّمَا الْمُعْوَلُ فِيهَا عَلَى
 التَّأثيرِ قُوَّةً أَوْ ضَعْفًا بِالْعَوَاطِفِ الْمُخْتَلِفَةِ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا أَجَابَ

بِهِ عَلَى كَرَمِ اللَّهِ وَجْهَهُ حِينَ سَأَلَ سَائِلٌ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ؟
قَالَ : دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ :

وَلَمْ يَعُدْ غَرِيبًا إِلَّا يَكُونُ لِلْمَسَافَاتِ عِنْدَ أُولَى الْأَلْبَابِ شَأْنٌ
يُذَكَّرُ .

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَيْنَمَا كَانَ قَائِمًا يَخْطُبُ
سَكَتَ بُرْهَةً فَكَانَمَا غَابَ عَنِ نَفْسِهِ وَعَنِ النَّاسِ ثُمَّ وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ
الْمَشْرِقِ صَائِحًا « يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ » ثُمَّ عَادَ فَاسْتَأْنَفَ خُطْبَتَهُ
فَاتَمَّهَا فَلَمَّا أَقْبَلَتْ وَفُودُ التَّهْنِئَةِ بِالنَّصْرِ وَتَحَدَّثَ سَارِيَةُ الْقَائِدُ أَنَّ
قَدْ كَادَ يَلْحَقُ الْمُسْلِمِينَ عَارُ الْهَزِيمَةِ وَيَقَعُ فِي صُفُوفِهِمْ
الْإِضْطِرَابُ لَوْلَا أَنْ لَجُّوا إِلَى الْجَبَلِ دَلَّاهُمْ عَلَيْهِ صَوْتُ عُمَرَ
لَكَانَمَا كَانَ خَلْفَ أُذُنِي يَصِيحُ بِي :

يَا سَارِيَةَ الْجَبَلِ : فَاطَعْتُ ثُمَّ تَقَدَّذْتُهُ بَعْدَ النَّصْرِ فَمَا مِنْ جُنْدِيٍّ
مِنْ جُنُودِي إِلَّا حَدَّثَنِي بِمِثْلِ الَّذِي سَمِعْتُ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا إِعَاثَةُ اللَّهِ
فَحَدَّثَهُ مَنْ فِي الْمَدِينَةِ بِالَّذِي سَمِعُوا مِنْ عُمَرَ .

وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمْ يَرَ إِلَّا بَعَيْنَ بَصِيرَتِهِ وَهَذِهِ لِلرُّوحِ : تَرَى
صَاحِبَهَا مَا حُجِّبَ عَنْ سِوَاهُ مِنْ ذَوَى الْبَصَرِ الْعَادِي . وَلَنْ يَكُونَ
ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ أَطْلَقَ نَفْسَهُ مِنْ إِسَارِ شَهَوَاتِهَا .

وَشَهَوَاتُ النَّفْسِ هِيَ مَا رُكِبَ فِيهَا لِمِيلِهَا إِلَى مُقَوِّمَاتِ جِسْمِهَا
وَمَا تَسْتَبِعُهُ مِنْ أَثَرَةٍ وَأَنَانِيَةٍ يَسْلُكَانِ بِهَا غَالِبًا مَسْلُكًا يُجَنِّبُهَا مَا
فِيهِ لَهَا الْخَيْرُ فَإِنْ تَخَلَّصَ الْإِنْسَانُ مِنْهَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَرْفَى بِهَا
رُوحَانِيَةً طَيِّبَةً عَلَى قَدْرِ جِهَادِهَا لَهَا وَمُرَاقَبَتِهِ إِيَّاهَا فِي جَمِيعِ
أَحْوَالِهَا .

فَمُخَالَفَتِكَ نَفْسَكَ وَأَنْتِزَاعِهَا مِنْكَ وَأَنْتِزَاعِكَ مِنْهَا وَغُلُوكَ فِي
مُنَاوَرَاتِهَا حَتَّى تَنْقَادَ لِكَ طَبِيعَةٍ ذَلُولًا خُطْوَةً وَاسِعَةً فِي سَبِيلِ رُقِيَّتِهَا
وَبُلُوغِهَا غَايَةَ سَامِيَةٍ فَحَبَّذَا لَوْ أَخْرَجْتَهَا مِنْ صِفَاتِهَا الْكَثِيفَةِ
وَخَلَّصْتَهَا مِنْ دَنَائِيهَا وَإِسْفَافِهَا ثُمَّ قُدَّتْهَا وَأَسْلَمْتَهَا إِلَى هَادٍ أَمِينٍ
وَصِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ يَرْدُّهَا إِلَى مَوْلَاهَا الْحَقِّ : وَآيُ هِدَايَةِ إِلَى اللَّهِ خَيْرٌ

مِنْ طَرِيقِهِ الَّذِي رَسَمَهُ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا رَوَاهُ أَبُو الْأَطْهَارِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى: عَبْدِي أَطِئْنِي أَجْعَلَكَ رَبَّانِيًّا تَقُولُ
لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ (١):

وَفِي هَذَا الْحَدِيثِ مُقَدِّمَةٌ أَوْ شَرْطٌ يَعْطِبُهُ نَتِيجَةٌ أَوْ جَزَاءٌ ثُمَّ شَرَحَ
لِهَذَا الْجَزَاءِ: أَمَّا الْمُقَدِّمَةُ فَهِيَ طَاعَةُ الْعَبْدِ لِلَّهِ وَأَمَّا النَّتِيجَةُ فَهِيَ أَنْ
يُعْطَى بِالطَّاعَةِ دَرَجَةٌ الرَّبَّانِيَّيْنَ وَعَنَى الْحَدِيثُ بِالرَّبَّانِيَّةِ أَنْ يَقُولَ
مُعْطَاهَا لِلشَّيْءِ: كُنْ فَيَكُونُ: إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْجَزَاءُ الْأَوْفَى وَإِنَّ
التَّبَصُّرَةَ فِيهِ مَلِيًّا لِتُغْرَى الْمَرْءَ بِالْمُقَدِّمَةِ مَهْمَا أُغْلِيَتْ كَمَا أُغْرِيَ
الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَاعُوا أَنْفُسَهُمْ لِلَّهِ وَقَدْ اسْتَرَاهَا مِنْهُمْ بِأَنَّ
لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ فَمَا هَذِهِ
الطَّاعَةُ الْمَوْصِلَةُ إِلَى ذَلِكَ الْخَيْرِ الْعَمِيمِ وَالْجَزَاءِ الْكَرِيمِ؟

أَمَّا الطَّاعَةُ فَهِيَ التِّرَامُكُ الشَّرْعَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِكَ وَحَرَكَاتِكَ

(١) روى البخارى معناه فى صحيحه ٨ : ١٣١

وَسَكَنَاتِكَ لَا يُخْرِجُكَ عَنْ طَرِيقِهِ دُنْيَا تَبْتَغِيهَا أَوْ نَفْسٌ تُطْغِيهَا أَوْ
شَهْوَةٌ تُشْبِعُهَا وَتُرْوِيهَا .

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مَعَ الْأَشِدَّاءِ عَزْمًا الْأَوْفِيَاءِ عَهْدًا الصَّادِقِينَ
وَعَدًا فَسَبِيلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرُكَ مُوَافِقًا لِلْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَمَا
أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ وَتَعَلَّمَ أَنَّ الصَّلَاةَ عِمَادُ الدِّينِ فَتَوَدَّيْهَا
خَاشِعًا وَتَعَرَّفَ أَنَّ الصَّوْمَ لِلَّهِ وَهُوَ يَجْزِي بِهِ فَتَضَبَّرَ عَلَيْهِ وَأَنَّ لِلسَّائِلِ
وَالْمَحْرُومِ فِي مَالِكَ حَقًّا مَعْلُومًا كَمَا سُئِلَ أَحَدُ الصَّالِحِينَ
الْفُطْنَاءِ عَنْ مَالٍ كَانَ عِنْدَهُ: لِمَنْ هَذَا الْمَالُ؟ فَقَالَ: لِلَّهِ فِي
يَدِي :

وَأَنْ تَقْصِدَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ إِنْ أَسْتَطَعْتَ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا لَا تَبْتَغِي
رِيَاءً مُؤْمِنًا بِأَنَّهَا عِبَادَةٌ عَمَلِيَّةٌ وَرِيَاضَةٌ رُوحِيَّةٌ وَأَنْدِمَاجَ نَفْسِي
وَجَسَدِي وَعَقْلِي وَعَاطِفِي فِي شَعَائِرِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهَا وَأَنْ تُتَوَجَّحَ كُلُّ
ذَلِكَ بِشَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ تَكُونَ

دَائِمًا عَلَى طَهَارَةٍ مَا أُسْتَطِعْتَ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ
الْمُتَطَهِّرِينَ وَأَنْ تَحْفَظَ لِلْخَلْقِ كُلِّهِمْ حُقُوقَهُمْ عَلَيْكَ وَأَنْ تَعْتَقِدَ أَنَّ
لَهُمْ عَلَيْكَ وَاجِبَاتٍ إِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَقُومَ بِهَا فَلَا أَقْلَ مِنْ أَنْ
تُحِبَّ الْخَيْرَ لَهُمْ جَمِيعًا .

وَأَمَّا مَا بَطَنَ مِنْكَ فَإِنَّ تَوْمِينَ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَى رَسُولِهِ إِيْمَانًا
تَعَهَّدُهُ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ وَتَقْوِيَهُ وَتَعْمَلُ عَلَى أَنْ يَتَّسِعَ مَا أُسْتَطِعْتَ
وَيَسْمُو وَيَتَخَلَّصَ مِنَ الشِّرْكِ الظَّاهِرِ وَالْخَفِيِّ فَلَا تَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَى
اللَّهِ وَلَا تُشْرِكُ بِعِبَادَتِهِ أَحَدًا وَلَا تَكُنْ مُرَائِيًّا أَوْ مُجَبِّبًا لِلشَّيْءِ أَوْ
مُتَجَنِّبًا بِعِبَادَتِكَ ذَمًّا أَوْ مَضَرَّةً مِنْ خَلْقِهِ بَلْ تَعْبُدْهُ وَتُؤْمِنْ بِهِ
مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ .

وَإِيَّاكَ وَحُبَّ الظُّهُورِ وَالْغُرُورِ فَإِنَّهُ كَمَا قِيلَ يَقْصِمُ الظُّهُورَ
وَعَلَيْكَ أَنْ تُحِبَّ اللَّهُ تَعَالَى حُبًّا يَأْخُذُ عَلَيْكَ مَجَامِعَ قَلْبِكَ وَجَمِيعَ
جَوَارِحِكَ وَعَلَامَةَ الْحُبِّ التِّزَامُ الطَّاعَةِ وَمُتَلَبِّسُ الشَّيْطَانِ مِنْ

(١) ذَكَرَهُمْ عَزَّ وَجَلَّ فِي قَوْلِهِ: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ ﴾: فَاجْعَلْ جَوَارِحَكَ كُلَّهَا شَاكِرَةً لَا كَافِرَةً . وَشُكْرُ الْعَيْنِ مِثْلًا أَنْ تَعْتَبِرَ بِمَا تَرَى بِهَا مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَبِمَا يَقَعُ عَلَيْهِ نَظْرُكَ فِي غُدُوكَ وَرَوَاحِكَ وَأَنْ تَجْعَلَ عَيْنَيْكَ طَرِيقَ هُدًى لَا طَرِيقَ غَوَايَةٍ وَأَنْ تَرَى بِهِمَا حَلَالًا لَا مَأْثَمًا وَأَنْ تَعْرِفَ فَضْلَ اللَّهِ عَلَيْكَ فِيهِمَا وَأَنْ تَعْجَبَ وَلَا تَعْجَبَ كَيْفَ تَرِيَانِ؟ إِنْ عَيْنَ الْيَقْظَانِ هِيَ عَيْنُهُ نَائِمًا لَمْ تَخْتَلِفْ وَلَوْ أَنَّ نَائِمًا فَتَحَتْ عَيْنَاهُ عَلَى مَرِيٍّ لَمْ يَرَبِهِمَا: فَمَا أَشْبَهُهُمَا بِمِنْظَارٍ غَابَ عَنْهُ نَازِرُهُ: أَلَا مَا أَعْجَبَ الرُّوحَ وَأَمْرَهَا وَمَا أَعْجَبَ الْجَسَدَ وَتَكْوِينَهُ ثُمَّ الْأَنْفَ وَكَيْفَ تَشْمُ بِهِ؟ وَكَيْفَ هَيَّئَتْ فِيهِ تَجَاوِيفُ لِتَكْيِيفِ الْحَرَارَةِ وَالرُّطُوبَةِ لِتُؤَافِقَ حَاجَةَ الْجِسْمِ وَالرِّئَتَيْنِ وَتَحْمَلَهُمَا ثُمَّ هَذَا الشَّعْرُ الدَّقِيقَ . كَيْفَ جُؤِفَتْ كُلُّ شَعْرَةٍ مِنْهُ وَفِي تَجْوِيفِ كُلِّ شَعْرَةٍ شُعَيْرَاتٌ تَتَحَرَّكُ بِانْتِظَامٍ لِتُخْرِجَ

الْمَوَادَّ الضَّارَّةَ بَعِيدَةً عَنِ الْجِسْمِ .

هَذَا هُوَ بَعْضُ الشُّكْرِ وَاللَّفِكْرِ شُكْرٌ . وَلِلْعَقْلِ شُكْرٌ وَلِكُلِّ جَارِحَةٍ شُكْرٌ . فَلْتَكُنْ ذَاكِرًا لِلَّهِ شَاكِرًا وَفِي عَمَلِكَ الَّذِي لَكَ مِنْهُ مَعَاشٌ فِي دُنْيَاكَ شُكْرٌ : أَفَلَا تَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟ :

وَهَذَا الْحُبُّ لِلَّهِ يُلْزِمُكَ أَنْ تُحِبَّ عِبَادَهُ جَمِيعًا لِأَنَّهُمْ خَلَقَهُ وَاللَّهُ يُحِبُّ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُمُ مَنْ فِي السَّمَاءِ (١) .

وَمِنَ الرَّحْمَةِ أَنْ تُشْعِرَ قَلْبَكَ الرَّأْفَةَ بِالْمَخْلُوقَاتِ جَمِيعًا بَلْ هَذِهِ هِيَ الْعِظْمَةُ الرُّوحِيَّةُ وَأَنْ تَبَيْتَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِكَ ضِغْنٌ وَلَا مَوْجِدَةٌ عَلَى أَحَدٍ وَلَا غِلٌّ وَلَا حِقْدٌ وَلَا حَسَدٌ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ مُحِيطَاتِ الْأَعْمَالِ وَأَنْ تُحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ وَأَلَّا تَكُونَ مُغْتَابًا وَلَا نَمَامًا وَلَا وَاشِيًا وَأَنْ تَجِبَّ الْغَيْبَةَ عَنِ نَفْسِكَ بِتَجَنُّبِكَ مَوَاطِنَ

(١) رواه البخارى فى الأدب المفرد - وأحمد وأبو داود والترمذى عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقال الترمذى: حديث حسن صحيح .

الرَّيْبِ وَأَنْ تَرُدَّ عَنْ عَرَضِ أَخِيكَ بِالْغَيْبِ وَأَنْ تَتَجَنَّبَ الْكِبَائِرَ
وَالصَّغَائِرَ وَالْأْتِنَافِقَ وَلَا تَكْذِبَ وَأَنْ تُنْجِزَ وَعْدَكَ إِنْ كَانَ عِنْدَ رَبِّكَ
(١) مَرْضِيًّا وَالْأَتْخُونَ وَلَا تَعُلَّ: ﴿ وَمَنْ يَعْلَلْ يَأْتِ بِمَا عَمَلٌ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾

وَأَنْ تُقْبَلَ بِصِدْقٍ وَعَزِيمَةٍ عَلَى عِبَادَةِ مَوْلَاكَ وَالتَّبَسُّلِ إِلَيْهِ
وَالْإِنْقِطَاعِ لَهُ وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تَهَيِّمَ عَلَى وَجْهِكَ نَاسِيًّا حَظَّكَ
مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوبًا لَا يَكْفُرُهَا صَوْمٌ وَلَا صَلَاةٌ وَلَا حَجٌّ
وَلَا عُمْرَةٌ إِنَّمَا يَكْفُرُهَا السَّعْيُ عَلَى الْمَعَاشِ وَتَعْرِفَ أَنَّ لِرَبِّكَ
عَلَيْكَ حَقًّا وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِبَدَنِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِزَوْجِكَ
عَلَيْكَ حَقًّا فَاحْفَظْ ذَلِكَ كُلَّهُ وَأَنْ تَتَحَمَّلَ الْأَذَى بِالصَّبْرِ
وَالْإِصْطِبَارِ وَأَنْ تَدْفَعَ السَّيِّئَةَ بِالْإِحْسَانِ إِلَى مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ وَأَنْ
تَتَّصِفَ لَدَيْهِ جَلَّ شَأْنُهُ بِالْإِنْكَسَارِ وَالذُّلِّ لِتَدْخُلَ فِي جُمْلَةِ مَنْ
ذَكَرَهُمُ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ: أَنَا عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ

أَجْلِي (١): وَأَنْ تَكُونَ كَرِيمَ النَّفْسِ فَإِنَّ مِنَ الْأَزْمِ صِفَاتِ النَّفْسِ الَّتِي
لَمْ تُرَضْ «الْبُخْلَ» وَهَمَّةٌ عَالِيَةٌ أَنْ تَرُوضَهَا عَلَى الْكَرَمِ وَأَنْ تَعْرِفَ وُجُوهَ
(٢) التَّكْرُمِ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.
وَأَنْ تَكُونَ عَفَّ النَّفْسِ حَافِئًا لِمَقَامِ مَوْلَاكَ مُطْمَئِنًّا قَلْبِكَ لِذِكْرِهِ
دَائِمًا فَإِنَّ الذِّكْرَ صَيِّقِلُ النُّفُوسِ وَجِلَاءُ الْقُلُوبِ وَمُبَوِّتُكَ مَقْعَدَ
صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ: وَأَنْ تُحَاسِبَ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسِبَ
وَأَنْ تَدِينَهَا وَتَعْمَلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَتَنْظُرَ مَا تَقْدِمُ لِعَدِكَ وَأَنْ تَأْمُرَ
بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ مُخْلِصًا فِي أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ مُحْسِنًا
أَدَاءَهُمَا عَلَى أَجْمَلِ وَجْهِ وَأَحْسَنِهِ وَلَا تُجَادِلْ مُخَالَفِيكَ إِلَّا بِالَّتِي
هِيَ أَحْسَنُ وَأَنْ تُسْتَغْفِرَ اللَّهُ تَعَالَى مِائَةَ مَرَّةٍ فِي نَهَارِكَ بِالصِّيغَةِ
الْآتِيَةِ .

أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ التَّوَابَ الرَّحِيمَ :

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية .

فَالْمُبْرَأُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ الْمَغْفُورُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ كَانَ
يَقُولُ : تُوْبُوا إِلَيْهِ فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ (١) :
عَازِمًا فِي كُلِّ مَرَّةٍ عَزْمًا صَادِقًا عَلَى الْإِتْعَادِ إِلَى مَعْصِيَةِ أَبَدًا
مُسْتَحْضِرًا قَلْبُكَ مُنْكَسِرًا نَادِمًا عَلَى مَا فَرَطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ مُؤْمِنًا
بِغُفْرَانِهِ لَكَ .

وَأَنْ تُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةَ مَرَّةٍ لِرُجُوبِ
الصَّلَاةِ عَلَيْهِ بِنَصِّ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فَقَدْ أَمَرْنَا بِهَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢)

فَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ بِالصِّيغَةِ الْآتِيَةِ :

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ : وَمِنْ
ذَلِكَ أَنْ تُؤَكِّدَ إِيمَانَكَ بِتِلَاوَةِ الصِّيغَةِ الْآتِيَةِ مِائَةَ مَرَّةٍ كَذَلِكَ فِي
كُلِّ نَهَارٍ .

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ

(١) رواه البخارى فى صحيحه .

الصَّادِقُ الوَعْدِ الْأَمِينُ : وَلَيْسَ مَعْنَى ذَلِكَ أَنْ تَتْرَكَ مَا أَمَرْتَ بِهِ بَلْ ذَلِكَ نَافِلَةٌ لِأُولَى الْعَزْمِ مِنَ الصَّادِقِينَ .

وَلْتَجْعَلْ لِنَفْسِكَ فَتْرَاتٍ تَرُوضُهَا فِيهَا عَلَى طَعَامٍ تَهْدَأُ مَعَهُ حَدِيثُهَا وَتَنْكَسِرُ شَرَّتُهَا .

وَقَدْ أَخَذْنَا عَنِ السَّابِقِينَ مِنْ ذَلِكَ الْأَيْكُونِ طَعَامَكَ مِنْ رُوحٍ وَلَا مِمَّا خَرَجَ مِنْ رُوحٍ لَيْسَ ذَلِكَ لِمَدَى الْحَيَاةِ وَلَكِنَّهُ بَيْنَ حِينٍ وَحِينٍ وَالْأُولَى أَنْ تَعْتَمِدَ لِكُلِّ فَتْرَةٍ أَرْبَعِينَ يَوْمًا فَإِذَا أَشْتَاقَتِ النَّفْسُ مَعَ أَعْتِدَالٍ فِي الصِّحَّةِ وَقُوَّةٍ فِي الرُّوحِ وَسُمُوءٍ وَطَهَارَةٍ وَأَنْطِلاقٍ فَلَا بَأْسَ بِأَنْ تُجَدِّدَ فَتْرَةً أُخْرَى .

وَسَتَرْقَى رُوحَكَ وَسَتَجِدُ أَنْسًا بِرَبِّكَ كُلَّمَا حَرَضْتَ عَلَى اتِّبَاعِ شُرُوطِ هَذِهِ الرِّيَاضَةِ وَأَهْمُهَا لِلْمُرِيدِ الْمُرَادِ أَنْ يَكُونَ طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ وَإِنْفَاقُهُ مِنْ حَلَالٍ لَا شُبُهَةَ فِيهِ وَأَنْ يَتَحَرَّى عَنْ كُلِّ رِزْقٍ يَأْتِيهِ مُجْتَنِبًا فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ السَّرْفِ وَالْمَخِيلَةَ وَأَنْ تُخْلِى قَلْبَكَ مَهْمًا جَمَعْتَكَ ظُرُوفَكَ بِالْخَلْقِ مِنْ كُلِّ مَا سِوَى اللَّهِ أَوْ مِنْ كُلِّ مَا

لَيْسَ لِلَّهِ فَإِذَا رَضِيَتْ أَوْ غَضِبَتْ فَلْيُكُنِ الرِّضَا أَوْ الغَضَبُ لِلَّهِ أَنْ تُعْظَمَ شَعَائِرُهُ أَوْ تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُهُ . وَلْيُكُنْ قَصْدُكَ فِي كُلِّ عَمَلٍ تَأْتِيهِ وَجْهَ اللَّهِ تَكُنْ مَعَ اللَّهِ فَتَجِدَ اللَّهَ تُجَاهَكَ دَائِمًا وَأَنْ تُرَاعِيَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ صِفَاتِ أَهْلِ الصِّفَاءِ فَتَتَّخِذَهَا لَكَ شِعَارًا وَدِنَارًا .

وَأَدِمْ ذِكْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَيْلًا بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى وَأَجْمَعْهَا وَأَشْمَلْهَا وَأَوْفِقْهَا وَأَتَمِّمْهَا وَأَعْمَمِهَا الْأَسْمَاءَ الَّتِي أُمِرْتَ بِهَا عَلَى الْأَيْقَلِّ الذِّكْرِ فِي آيَةِ لَيْلَةٍ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ عَنْ سَاعَةٍ تُفْرَغُ فِيهَا قَلْبُكَ لِلَّهِ فَتُخْلِيهِ مِنْ أَهْلِكَ وَخَلِّكَ وَزَوْجِكَ وَوَلَدِكَ وَذَوِيكَ وَرِزْقِكَ وَدُنْيَاكَ وَبِالْجُمْلَةِ تُشْعِرُ نَفْسَكَ وَجَوَارِحَكَ الْخَوْفَ لِمَقَامِ اللَّهِ بِالتَّبَتُّلِ وَالتَّشْمِيرِ لِطَاعَتِهِ وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ وَالتَّخْلِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ مُوقِنًا أَنَّهُ بِكَ أَوْلَى وَأَحْفَى وَأَرْحَمُ مُسْتَعِينًا بِهِ فِي خَلْوَةِ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مَعَ الْأَزْوَاجِ الطَّاهِرَةِ الزَّكِيَّةِ الَّتِي تَأْتِسُ إِلَيْهَا ثُمَّ تَنْصَرِفُ إِلَى مَعْنَى الْأِسْمِ الَّذِي تَذْكُرُ فَإِنْ زِدْتَ مُدَّةَ الذِّكْرِ عَمَّا جَعَلْنَاهُ حَدًّا أَدْنَى لَكَ فَهِيَ لَكَ زِيَادَةٌ فِي الرُّقِيِّ عَلَى شَرْطِ أَنْ تَتْرَكَ الذِّكْرَ

وَأَنْتَ تَشْتَهِيهِ لِيَسْتَدِيمَ لَكَ الشَّوْقُ فَإِنْ زِدْتَ وَأَنْتَ عَلَى سَاءٍ وَمَلَلٍ
كُنْتَ كَالْمُنْبِتِ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى .

وَالْجِهَادُ فِي الذِّكْرِ عِنْدَ أَوْلَى الْفِطْنِ مُنْصَرِفٌ إِلَى تَرْكِيزِ الْإِرَادَةِ
وَالْقُوَّةِ الرُّوحِيَّةِ فِي مَعْنَى الْأِسْمِ الْمَذْكُورِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنْ كُلِّ مَا
يَشْغُلُ عَنْهُ حَتَّى لَا تَتَعَثَّرَ الرُّوحُ فِي الْعُرُوجِ إِلَى مَقَامَاتِ السَّالِكِينَ
فَإِذَا وُفِّقْتَ إِلَى ذَلِكَ فَافْعَلْ مَا بَدَأَ لَكَ مِمَّا بِهِ تَصِيرُ أَهْلًا لِلْعَطَاءِ
تُكْرَمُ بِمَقَامِ الرَّبَّانِيِّينَ الْمُشَارِإِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ وَلَا حَرَجَ عَلَى فَضْلِ
اللَّهِ فَقَدْ تَحَقَّقَ وَتُعْطَى وَتُمنَحُ مَا تَتَضَاءَلُ دُونَ بُلُوغِهِ الْأَمَالُ مِنْ
مَقَامَاتِ الْعُبُودِيَّةِ الْخَالِصَةِ لِلْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ
وَإِيَّاكَ وَالْفِتْنَةَ وَالْغُرُورَ بِمَا تَجِدُ مِنْ أَنْسٍ وَلَذَّةٍ مِنْ ذَلِكَ فَإِنَّ
لِلشَّيْطَانَ مَدَاخِلَ خَفِيَّةً يَجِدُ بِهَا سَبِيلًا إِلَى الْقُلُوبِ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ
الْمُخْلِصِينَ .

مِنْ ذَلِكَ أَنَّ مُتَعَبِّدًا كَانَ يَأْتِيهِ الشَّيْطَانُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ بِيَدِهِ

قَنَدِيلٌ يُنِيرُ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَى الْمَسْجِدِ كُلِّ سَحَرٍ ثُمَّ يَخْتَفِي فَلَمْ يَفْزِ
الشَّيْطَانُ مِنْهُ بِطَائِلٍ .

أَسْأَلُ اللَّهَ لِي وَلكُمْ صَلَاحًا لِأَنفُسِنَا وَرُقِيًّا لِأَزْوَاحِنَا وَقُرْبًا يُشْرِفُنَا
حَتَّى نَلْقَى اللَّهَ أَوْفِيَاءَ لِدِينِهِ أَمْنَاءَ عَلَى شَرِّعِهِ مُحِبِّينَ لِنَبِيِّهِ مُهْتَدِينَ
بِهَدْيِهِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ .

